الوعي

١٢٠

مجلة تركيا الإسلامية الحضارية

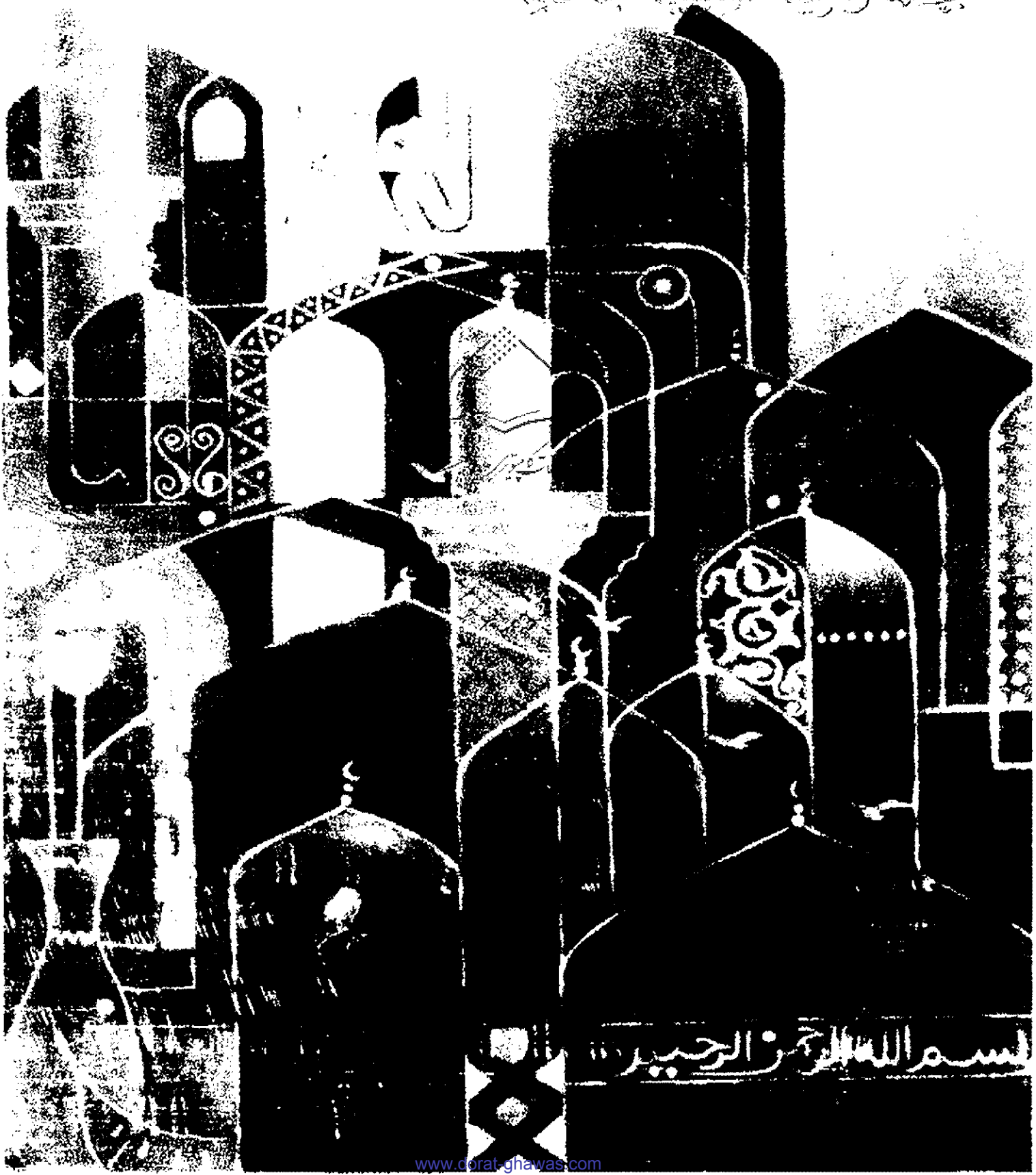

بسم الله الرحمن الرحيم

www.dorat-ghawas.com

المجلد الثلاثون ـ العدد الرابع ـ ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ

المحتوى

■ الموردة

* قاتَلَهُمُ اللّـهُ أنّى يُؤفكون ..... د . محمد البكاء ٣ ـ ٤

■ بحوث ودراسات

* اليهود في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٥ ـ ١٥
* تجارة العرب المسلمين الى البيزنطية ..... د . طه خضر عبيد ١٦ ـ ١٩
* التقسيم الاقليمي في كتب التراجم الادبية
نشأة ـ تطور ـ نتائج ..... د . احمد النجدي ٢٠ ـ ٢٨
* صور الشعراء الفنية ـ قبل الاسلام ـ
من الوجهة النفسية ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ٢٩ ـ ٣٩
* حسين بن علي العشاري
دراسة تحليلية في شعره ..... أ . د . عباس مصطفى الصالحي ٤٠ ـ ٥٧
* الفكاهة والغزل في شعر الفقيه
المجاهد محمد سعيد الحبوبي
١٨٤٩ ـ ١٩١٥ ..... أ . د . محمد حسن علي مجيد ٥٨ ـ ٦٩
* مقابسات في الفلسفة الصوفية
القسم التاسع ـ الجزء الاول ..... عزيز عارف ٧٠ ـ ٧٨

■ نصوص محققة

* شعر ابن منادر / ٥٧٠هـ القسم الاول ..... جمع وتحقيق عبد العزيز ابراهيم ٧٩ ـ ٩٥
* شعر ابن ليون التجيبي المتوفى
سنة ١٩٨هـ القسم الاول ..... د . هدى شوكت بهنام ٩٦ ـ ١٠٩

■ نقد وتعقيب

* كتاب « نسيم السحر » للثعالبي
توثيق وتأصيل ..... د . محمود عبد الله الجادر ١١٠ ـ ١٢٠
* اخبار التراث العربي ..... حسن عربيي الخالدي ١٢١ ـ ١٢٨

في هذا العدد

www.dorat-ghawas.com

الفكاهة والغزل في شعر الفقيه المجاهد محمد سعيد الحبوبي ١٨٤٩ - ١٩١٥[١]

أ. د. محمد حسن علي مجيد
كلية التربية للبنات
بغداد

قلما تتضارب الاقوال في شاعر تضاربها في شعر الخمر والغزل لدى الشاعر الفقيه المجاهد محمد سعيد الحبوبي ، الذي بدأ شاعراً غزلًا رقيقاً ، وتوسط عالماً فقيهاً ، ومرجعاً ثبتاً ، وانتهى مجاهداً صلباً شجاعاً في سوح الوغى وهو ينبّ الغزاة عن ارض العراق[٢] .

ان منطلقات هذا التضارب مرتكزة في كون السيد الحبوبي لم يبدع في هذين الغرضين ، ولم يشتهر الابهما ، بل عُدَّ من روادهما في ادباء القرن الماضي ، ومن اول المبدعين بهما ، بحيث اننا لو جردنا شعره او ديوانه المطبوع منهما ، لبدا الباقي من شعره ليس بذي قيمة فنية عالية ، وهو قليل ، وان اكثر هذا القليل في الرثاء وبعضه في التهنئة والمديح ، وقسم منه في الطبيعة ، بينما احتل غرضا الخمر والغزل الجزء الاهم من الديوان .

صحيح ان اكثر قصائده الخمرية والغزلية لم تجيء مستقلة في الخمر والغزل المباشر ، انما في مقدمات قصائد التهنئة والمديح ، الا ان القارىء ليشعر وهو يقرأ احداها ، كأن الرجل ينتهي مما يريد ان يقول حال انتهائه من قراءة المقدمة الخمرية او الغزلية التي هي روح القصيدة ، وما يبقى منها حشو او اطالة او مجاملة ، الغرض منه مدّ القصيدة وخلق المبرر لقول الخمر والغزل في ميدان الوقار والادب ، وامام هيبة المجتمع النجفي المحافظ في ذلك القرن . وهذا هو المنطلق الثاني لتضارب الاقوال في هذا الادب اللاهي من الخمر والغزل ووجوده في هذا المجتمع المحافظ ، الذي تحكمه آداب صارمة تفرض الجد والوقار ، وتمنع الانسياق وراء الطيش والنزق ، وتوجب الالتزام بالحلال والحرام حتى من ابسط افراد المجتمع وعامته ، فضلًا عن مجالس سرانه ، وحوزة علمائه ، وحلقات مجتهدية وفضلائه ، فكيف اذن تسنى لهذا الأديب النجفي ان يطلق لنفسه العنان ، ويقول في الخمر والغزل ما يقول ، ويسهب فيها ويصول ويجول ، من غير خشية من رقيب ، او لوم من حسيب ، او وقوع تحت طائلة العقاب او العتاب !! .

www.dorat-ghawas.com

مقدماً . ولغرض الاجابة المنهجية ، لنقسم الموضوع الى فرعين . او لنضعه في سؤالين مستقلين ، ليتضح التحليل ويسهل علينا التعليل .

اولهما ــ موضوع الخمر .

والسؤال : هل كان الحبوبي عارفاً بالخمر او معاقراً لها ، او مجرباً لاثارها ، او شاهداً لمجالسها او مفتناً بالوانها وكؤوسها ، او قريباً من اسرارها ، بحيث ان هذا القرب وتلك التجربة ، هيئا له الصدق في القول ، والحرارة في الاندماج والاجادة في الفن ؟ .

فاذا كان ذلك حاصلاً ، فكيف توفر له الظرف الاجتماعي للاعراب عن اعجابه بها في مجتمع محافظ ، ووسط مجالس تتسم بالجد والوقار ، وتنشغل بالعلم والدين ؟ .

اما اذا لم يكن السيد الحبوبي كذلك ، وانما وصفها على التقليد والسماع ، فكيف إذن اتيحت له هذه الاجادة الفنية العالية في هذا الغرض الصعب من اغراض الشعر العربي ، الذي يكاد يتفق نقاد الادب على انه لا تتسنى الاجادة فيه الا لمن مارس واقترب ، وجلس وجرّب ، لان المسالة في واقعها هي مسالة معرفة حقيقة التجربة والدوران في دوامتها ورؤيتها من الداخل ، ولا تدفع للاجادة فيها ان يُحام حولها ، او تُنظر كؤوسها ، او تُقرأ اخبارُها . والمتفق عليه ان السيد الحبوبي بلغ من وصفها : شكلاً وموضوعاً وتاثيراً ما بلغه كبار شعراء الخمر في الادب العربي ، وهو في الرعيل الاول منهم ، لا استطيع ان اقدّم عليه في وصفها شاعراً بعد زمن ابي نواس في حدود معلوماتي ومظنوناتي ، ولا استطيع ان اقدم عليه شاعراً فيها من القرن التاسع عشر في الشعر العربي كله ، وهو القرن الذي عاش فيه الحبوبي ، حتى عدّه النقاد : ((امام شعر الخمر في عصره))[٣] .

ولدقة وصف الحبوبي للخمر واجادته فيه ، ظن بعض الباحثين ان تلك الخمريات لابد ان تكون منبعثة عن تجارب حقيقية ، وحضور مجالس شراب واقعية شهدها الشاعر خلال سفراته الى بغداد ، وشارك في وقائعها ، فقالوا : ان الدقة في وصف الخمر لدى الحبوبي توحي لدارس شعره انه شربها وتذوق طعمها وتلمس بحواسه اثرها وهي تدب في الاعضاء وفي الجسد[٤] . فالدقة في الوصف اذن هي دليل اتهام الرجل انه قاربها او شربها ، حتى شعر بدبيبها في الاعضاء وفي الجسد .

وقد يساعد على هذا الزعم قول الحبوبي نفسه :

خفف طبعي شـــربهـــا متلمـــا
دبيبهـــا ثقّـــل اجفـــاني[٥]

او قوله في موشحة اخرى :

هـــاتهـــا تشـــرق في اكـــوابهـــا
صبغت ثـــوب الدجى لـــون الصبـــاح
عـــلّ نفسي من ضنى او صـــابهـــا
تجـــد البـــرء ويعـــروهـــا ارتيـــاح[٦]

وغير هذا الكثير مما جاء في شعر الحبوبي من وصف دقيق ممتع للخمر واشكالها وطعمها ودبيبها وآثارها في الشاربين ، واوصاف كاساتها واباريقها ، وما عليها من زخارف ورسوم ، ثم من وصف الندامى ومجالس الشراب ، وغيرها الكثير مما زخر به ديوان هذا الشاعر المقتدر .

والسؤال مرة اخرى : هل انبثقت اجادة الحبوبي في الخمر اذن من تجارب حقيقية وممارسة واقعية ؟ وهل استهوته الخمر في يوم من ايام الصبا ومرحلة من مراحل الشباب فمارسها او قرب منها ، فتوفر له بذلك الدليل المادي لوصفها ومعرفة حقيقتها ، والوقوف على اسرارها وآثارها ؟ .

تقطع المصادر ــ عدا من ذكرت ــ ان الرجل في سيرته وحياته وتراجمه لم يقترب منها شارباً ولم يجلس اليها منادماً ، ولم تاخذه الغفلة يوماً مدمناً . فتربية الرجل ومنزلة اسرته ومحيطه الديني والعلمي ، كلها لا تسمح له ان يكون مقترباً من ام الكبائر او مقترفاً لها . انما الذي حدث : انه في القرن التاسع عشر ، اشتد في النجف تيار شعري قوي[٧] ، اختلط بتيار مثله او اقوى منه هو تيار الفكاهة والهزل ، والظرف والفزل[٨] اقتضته ظروف الحياة وكثرة الفراغ ، مما اضطرهم الى ازجاء اوقات فراغهم الكثيرة باللهو البريء والهزل الكثير والفكاهة الظريفة والمزاح الاخواني ، وبالمتراكم من قصائد الفزل والفكاهة والهزل والخمر ، وافتعال مجالسها وتصوير اشكالها ووصف كؤوسها ، والتغني بها ، تندراً وتظرفاً ، على الرغم مما عُرفت به النجف في هذه الحقبة من قداسة ودين . ومما يدل على هذا ، ندرة القصائد النجفية التي عالجت موضوع الخمر معالجة مستقلة ، لانه ندر فيهم في هذه الحقبة من عاقرها او اقترب منها حقيقة كما

www.dorat-ghawas.com

تدل على ذلك دراسة البيئة آنذاك ، وتراجم شعراء النجف في هذا العصر[٩] ، ولكنهم على الرغم من ذلك فقد نظموها مآدب ومجالس ، ومساحب ومقاصف ، وسقاة وخمارين ، وندماناً وشاربين ، وكؤوساً وزخارف . كما تفننوا في وصف لذتها وطعمها ورائحتها ونشوتها وعمرها والوقت المفضل في شربها الذي جاء الكثير منه بصور مستملحة ، واوصاف طريفة ، واخيلة جميلة واساليب رشيقة واوزان خفيفة ، وقوافٍ هامسة . وعلى رأس اولئك الشعراء السيد الحبوبي نفسه الذي جاءت كل خمرياته في مطالع قصائد التهنئة ومناسبات الافراح ، ولذلك فهو يعلن بشكل صريح عن غرامه بالخمر ، وشوقه اليها وتلذذه بطعمها وحنينه لمجالسها ، شأنه في ذلك شأن كبار شعراء مدينته ، بل كبار فقهائها وعلمائها من الشعراء .

فهذا الشيخ عبد الكريم الجزائري ((الذي كان زعيماً دينياً كبيراً ، ومرجعاً ثقة ، والذي نهض باعباء الزعامة ثلاثين عاماً ، وشخصاً تقدسه الارواح قبل الاجساد والملوك قبل الناس ... فهو يصف الخمرة))[١٠] هذا الوصف الجميل حين يقول :

قم للسلافة واتلُ آية الطرب
ورصّع الكاس في درّ من الحبب
وانثر على الارض دراً من فواقعها
ممزوجة بلعاب الثغر والحبب
وارغد بعيشك ما دامت لذاذته
مقرونة بفنون اللهو واللعب
راح اذا شبّها الساقي وشعشعها
تكاد تحرق كفيه من اللهب[١١]

ان اطراء الخمر من هذا الزعيم الديني الكبير يدل بشكل واضح على سريان روح الدكتة والفكاهة في النجف ، حتى صار الخمر تياراً معترفاً به من تيارات الشعر ، فلا يجد النجفيون بكل طبقاتهم غضاضة في نظمه او سماعه او التغني به ، واولهم الادباء والوجهاء والعلماء ، والافما معنى ان يقبل الناس هذا الاطراء لبنت الكبائر من زعيم ديني كبير ومرجع ثقة نهض باعباء الزعامة الدينية والاجتماعية ثلاثين عاماً ؟ ، ايمكن ان يحدث هذا لو لم يعرف المجتمع النجفي ووجوه البلاد ان هذا الفقيه الكبير والمصلح الخطير يصدر عن حب للظرف وطلب للفكاهة ورغبة في الترويح عن النفس لانها اذا كلّت عميت ! .

وهذا شاعر نجفي آخر يدّعي انه ضائق بتحريم الخمر ، وانه لا يملك صبراً عليها ، ولا يقدر بعداً عنها ، ولا يطيق فراقاً لها ، ولذلك فهو يطلب سقايتها حراماً كانت ام حلالاً . انه الشاعر (الشيخ مهدي حجي) الذي عُرف بنسكه وتقواه ، وصلاحه وهداه[١٢] ، اسمعه كيف يعلن عن تلهفه لها وشوقه اليها على رؤوس الاشهاد ، مهما لام اللوّام ، او غضب المتأثمون ، فهو لايسمع فيها عتباً ولا يرضى معها نصحاً ، انما هو عاشق لها ، بل هو عبدها وغلامها ـ في مطلع موشحة مدح جميلة حين يقول :

لائمي بالله خلِّ المتبا
واسقني الصهبا حلالا ام حرام
ثم غنِّ باسمها لي طربا
فهي مولى ولها كنت غلام

* * *

قال لي المفتي : بها حل حرام
لا تخف في شربها ويك حرام
واتلُ ان رِمتَ بها فض الختام
آية الخمر وقل حلّ الشراب
واحتسيها بكرة جاماً فجام
ثم توجها بمنسوج الحباب
خمرة قد عتقوها زمناً
في دنان يالله من زمنِ
هي للعرب او الفرس منى
تسلب النفس بوجهٍ حسنِ[١٣]

لقد استغرب احد الباحثين المعاصرين من جرأة هذا الشاعر النجفي ، واعلانه السافر عن تحديه مجتمعه تجاه تحريم الخمر حتى ليبدو غريباً في مجتمعه النجفي الديني المحافظ[١٤] ، والواقع انه لا غرابة ولا عجب في سلوك هذا الشاعر النجفي ، فهو ليس اول شاعر نجفي يطري الخمر او يحبها او يتشوق اليها ، وان الشاعر يقيناً ليس من شاربيها او مدمنيها ، لانه ـ مثلما ذكرنا ـ رجل معروف في مجتمعه بصلاحه وتقواه ، انما نفذ الى غرضه من خلال السماح العام الذي اباح لهذا الشاعر ولغيره مدح الخمر واطرائها تظرفاً من غير اعتراض او استنكار من احد . ومما

www.dorat-ghawas.com

يؤيد ما نذهب اليه : ان الكثير من قصائد المديح والتهنئة لكبار رجال الدين والوجهاء بمناسبات الاعياد او الافراح . والكثير من قصائد التهنئة بالعودة من الحج ، كانت تبدأ بذكر الخمر واطرائها وذكر اوصافها ، ووصف اندماج الشاعر بها وشوقه اليها[١٥] . ومع ذلك ، فلا العلماء المتزمتون ولا الوجهاء الموقرون ولا الحجاج المتطهرون العائدون توّاً من بيت الله الحرام يعترضون ولا يستنكرون ما يُلقى امامهم من شعر التغزل بالخمرة والدعوة اليها والتلذذ بمذاقها والتمطق بطعمها ، لان الشاعر لا يدعو اليها حقيقة ، انما هو تحسين المجلس ، واشاعة جو المرح فيه ، ولو دعا الشاعر الى ذلك حقيقة لسخط عليه الناس واولهم العلماء المتؤثمون ، والحجاج المتطهرون .

من هنا نخلص الى القول : ان مجالس خمر الحبوبي كانت تعقد في هذا الميدان وكان يسير فيه مع هذا التيار ، مستفيداً من روح التسامح الاجتماعي . سابحاً في تيار الظرف والمرح الاخواني ، فقال مثلما قالوا ، وشارك مثلما شاركوا ، ولكنه تميز عنهم ، وبزّ المقتدرين منهم .

يقيناً ان السيد الحبوبي لم يشرب الخمر ، استنتاجاً من حياته وسيرته وتراجمه ، وان خمرياته ليست وليدة الحقيقة والممارسة ، فلو كانت كذلك ، لما وصلت اليه الزعامة الدينية في عصره في المرحلة الاخيرة من حياته[١٦] ، ولوقف جمهور المسلمين بوجهه وطعنوا في سيرته وحالوا بينه وبين تلك الزعامة التي انتهت اليه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وبقي اماماً ، حتى انه عندما افتى بالجهاد ضد الانكليز ابان الحرب العالمية الاولى ، والامر بالتصدي لهم ومقاومتهم وخروجه لحربهم ، تبعته ارتال من المراقبين تنفذ امره ، وتقاتل تحت رايته ، وهذا يدل على ان خمرياته في وقتها لم تكن الا من صنع الفكر المقتدر الخلاق . نعم لا استبعد ان الحبوبي حضر بعض مجالس الخمر في بغداد ايام كان يزورها بين الحين والحين في شبابه وينزل في بيوت بعض اصدقائه ومعارفه ، او كان يحضر بعض مجالس لهوهم وافراحهم ، فشهد شكلها ، وعرف اوصافها ، ووقف على بعض آثارها في الشاربين .

هذا عامل . العامل الآخر : ان الرجل يبدو انه اطلع على تراث الشعر الخمري في الادب العربي من عمرو بن كلثوم والاعشى بالجاهلية ، مروراً بالاخطل الاموي وابي نواس العباسي ، وشعراء الموشحات الاندلسية ، وانتهاء بشعراء الخمر المتاخرين ولا سيما شعراء المتصوفة الذين كثيراً ما تغنوا بما يسمونه الخمرة الالهية ووصفوها وذابوا عشقاً في حبها . هذا الرجل الذكي استوعب هذا التراث كله فتمثله في ذهنه وقلبه ، ثم استظهره . فاحسن التمثل والاستظهار . ثم جاء العامل الثالث ـــ المهم ـــ : جاءت العبقرية الشعرية والقريحة المقتدرة على صوغ الالحان وتركيب الصور ، وابتكار المعاني . فاذا اضفنا الى هذه العوامل الثلاثة المهمة ، العامل الرابع ، العامل الاساس ، عامل المجتمع النجفي المتطلع الى الفكاهة ، المتلهف على النكتة المنفتح على روح المرح ، المتقبل لتيار الخمر وشعره تكون قد اكتملت لدى الرجل الادوات ، وتوافرت له عوامل التمايز فصار يرسم ويصور فيحسن الرسم والتصوير ، حتى عُدَّ « شيخ شعراء العصر غير مدافع »[١٧] ، بل عدّه الكثير من الباحثين انه من الشعراء المجددين في الشعر العراقي الحديث ، او هو بداية التجديد في الاغراض والاساليب[١٨] . لذلك ليس من الغريب ان نسمعه يترنم بهذا الشعر الخمري النفيس ، الذي يحزم امره ويحاول اللحاق بابي نواس شاعر الخمر الشهير في الادب العربي ، ويحاول ان يسابقه في ميدانه وينافسه في صوره ومعانيه او يقلده فيها فيحسن ويجيد .

ستقول : ولكنك ذكرت ان للتجربة اثراً مهماً في الابداع ، وان السيد الحبوبي ليس بذي تجربة في الخمر ، فكيف تسنى له الابداع ؟ واقول : هو كذلك ، التجربة عنصر مهم من عناصر الابداع . ولكن يبدو ان التجربة ليست كل شيء ، فللعوامل الاخرى اثرها ، واولها العبقرية الشعرية ، فقد لا يُبدع المجرب ، وقد يُبدع المقتدر ، ذو الخيال الواسع . وقد يبدو ذلك واضحاً في مقارنة الحبوبي مع معاصرة الشاعر عبد الغفار الاخرس البغدادي (١٨٠٥ ــ ١٨٧٣) الذي « اشبه ابا نواس في كلفة الشديد بالخمر وكثرة وصفه لها وجودته »[١٩] ، والذي عُرف انه صاحب تجربة حقيقية في الخمر وانه وقف على اسرارها وآثارها في النفس وفي الجسد ، دلّت على ذلك اخباره وتراجمه[٢٠] واشعاره التي زخرت بوصف اشكالها والوانها وطعمها وآثارها فرسم لها صوراً حسنة جميلة ، لكن تلك الصور على حسنها لم تحوِ خيالاً جديداً او معاني مبتكرة او تجربة متميزة ، على الرغم من ان

www.dorat-ghawas.com

الاخرس كان شاعراً متميزاً بين شعراء عصره ، الا ان اكثر وصفه للخمر كان ناقلاً لواقع مادي اكثر مما كان يصفها متذوقاً او متأملاً يصدر عن تجربة وذهول مثلما نرى لدى كبار شعراء الخمر في الشعر العربي ، لذلك لم يبلغ شأن الحبوبي الذي امتاز عليه في وصف الخمر اتساع خيال ودقة تصوير وطرافة معاني ، ورشاقة اسلوب ، فبزّهُ الحبوبي في ميدان اختصاصه ودائرة تجربته . والآن لنستمع لواحدة من احاسن خمريات الاخرس ، ونوازنها بغيرها من خمريات الحبوبي ، ولنر البون بين ما تخلقه العبقرية وما تاتي به التجربة .

قال الاخرس :

سقـــانيهـــا معتقـــة عقـــارا
وقـــد القت يـــدُ الفجـــر الأزارا
ودارِيهـــا مشعشعـــةً علينـــا
فـــدار الانسُ فينـــا حيثُ دارا
اذا مـــا زفهـــا الســـاقي بليـــلٍ
اعـــاد الليـــل حينئـــذٍ نهـــارا
تشق حشـــاشـــةَ الظلمـــاء كـــأسٌ
كمـــا اوقـــدتَ في الظلمـــاء نـــارا
جـلاهـا في الكـؤوس لنـا عـروساً
وقـــد جعـل الجمـــان لهـــا نثـــارا
يتـــوجهـا الحبـــاب بتـــاج كســـرى
اذا مُـــزجت ويلبسهـــا ســـوارا
فقبـــل المـــزج تحسبهـــا عقيقـــاً
وبعـــد المـزج تحسبهـــا نضـــارا[٢١]

هكذا نلاحظ الاخرس في وصف الخمر لا يلتزم تسلسلاً موضوعياً ، ولا يرتب اجزاء الصورة ترتيباً تاملياً نابعاً من حالة الخدر والذهول التي يُفترض انه يعانيها لذلك اتت اكثر اوصافه حسنة الصور ، لكنها مشوشة الترتيب ، قليلة الخيال ، مكررة المعاني .

اما الحبوبي فقد استطاع ان يحلق في الخيال ، ويلمّع الصور ورتب الاجزاء ، ويدقّ في المعاني ويبتكر في الاساليب على الرغم من فقدانه التجربة . الخمرية . لنستمع الى هذه المختارات من قصيد الحبوبي وموشحاته الخمرية ولنر ما فيها من حسن ونفاسة ، قال في مطلع قصيدة تهنئة :

شمس الحميا تجلت في يد الساقي
فشـعّ ضـوء سنـــاهـا بين آفـاقي
ستـــرتهـــا بفمي كي لا تنم بنـا
فـان حجت شعلـةً مـا بين آمـاقي
تشـدوا اباريقهـا بـالسكب مفصحـة
بشـــرى السليم فهذي رقيـة الراقي
خـذهـا كـــواكب اكـواب ويشفعهـا
ما يحتسي الطرف من اقداح احداق
تسعى اليـك بها خـود ، مراشفهـا
اهنا واعذب ممـا في يد السـاقي
مســودة الجعد لـولا ضـوء غـرتهـا
لمـا هـدتني اليهـــا نـار اشـواقي
هيفـــاء لـولا كثيب من روافـدهـا
فـــرّ النطـاقـان بن نـزع واقـلاق
جال الوشاح بكشحيها متى نهضت
تسعى اليك ، وضاق الحجل بالساق
تـزيـد حسناً اذا مـا زدتهـا نظـراً
كـالروض غب رفيف القطـر مهـراق
ضممتهـــا ، فتثنت وهي قـــائلـــة
بالغُنج : رفقـاً لقد فصمّت اطـواقي
رقت محـاسنهـا حتى لـو اتخـذت
عـرشاً بنـاظرتي لم تـدر آماقي[٢٢]

اتلاحظ هذه الدقة في الوصف ، والايغال في العاطفة ، والنجاح في تلبّس المعاناة والقدرة على الرسم ، وتتبع اثر الخمر في الشاربين وسريانها بين الآماق والعيون ، والاحداق والاعضاء والاطراف ، ثم في تصوير لمعان الكأس ، وقدّ الساقية وعذوبة المراشف وسواد الشعر وبياض الغرة ، وضيق الوشاح واكتناز الارداف ، انه مصور بارع . صحيح ان اكثر هذه الصور حسية ، واغلب التشبيهات مادية منقولة من الواقع المنظور او التراث ، الا ان تشكلُ تلك المواد وتاليفها واخراجها بهذا الشكل الغريب ، يومىء الى ان الرجل يصوغ جديداً ، وينظم مبتكراً . وفوق هذا ، فهو لم يقتصر على الحس العادي ، او التراثي او المنظور فحسب

www.dorat-ghawas.com

في صوره وتشبيهاته ، انما هو كثيراً ما يحلق في آفاق المعاني الذهنية ، ويبتكر الصور المولدة المستقاة من آفاق فلسفية او فكرية متصوّرة ينحو فيها منحى الشعراء المتأملين او المتفلسفين او المتصوفين . انظر قوله مثلاً :

كن لدى جلوتها منتبهاً
فعلى تكييفها طال اللجاج
اهي بالكاس ام الكاس بها ؟
اذ بدت صرفاً فاخفاها المزاج
فهما شيء بدا مشتبهاً
ام هما شيئان : خمر وزجاج
لا الطلى كاس ، ولا الكاس طلى
عزب القصد على المعتسف
ولها ان شئت فاضرب مثلاً :
وحدة الوصف مع المتصف[٢٣]

او لنتأمل هذه الصور المعبرة للخمر في موشحة اخرى ، حين يقول :

فاسقني ، واشرب سلافا صرخدا
في لجين الكاس ذابت عسجدا
نضح الماءُ بها
فاتقدا
فاغتدى كالنار مشبوب السنا
فهو برد بلهيب مُشعَلِ

• • •

كم خشينا رصداً مذ سُعِّرتْ
وسترنا شمسها ـ لو سُتِرت ـ
وهي في افواهنا مذ كُوِّرت
حيّيت الافواه فيها الاعينا
فقدت شعلتها في المقل[٢٤]

واخيراً لنتأمل معاً هذه الصور الخمرية التي رسمها في هذه الموشحة :ـ

والحميا مُذ بدتْ في كاسها
عطر الجو شذى انفاسها
كلما اوحش من اينا ساسها
فهو المأنوس لا ما نزحا
عُزلةٌ عنه ، وان لم توحش

• • •

او ما تبصرها اذ لمعتْ
شعّ فيها الليل لما شعشعت
خلتها شمس نهار طلعت
غير ان البرج كان القدحا
وتجليها بليل اغطش

• • •

ونديمي صرعته القرقف
صبغت خديه وهو المترف
كاد لما خامرته يُتلف
وغدا منتفضاً لما صحا
كانتفاض الطائر المرتعش[٢٥]

• • •

والغزل !

والسؤال الثاني :

وهل ستقول في الغزل ما قلته في الخمر من تقليدية ساعدت عليه العبقرية ، وروح الفكاهة والسماحة النجفية ، فضخّ فيه عاطفة صناعية ، والفاظاً بزّاقة حتى ليبدو لغير المتفحص انه عاشق متيم ومحب هائم ، وهو في حقيقته خلي الجنان ، مازح اللسان ؟ .

مقدماً ، لا تذكر المصادر ان الرجل كان محباً متيماً او عاشقاً مولهاً او متعلقاً بمحبوبة معينة اخلص لها وعاش من اجلها او ردد اسمها ، كما فعل الشعراء العذريون او الشعراء الحسيون . او متلما عُرف عن (جنان) ابي نواس او (فوز) العباس بن الاحنف او غيرهما ، او متلما عُرف عن معاصره الشاعر عباس ملا علي النجفي (١٨٢٨ ـ ١٨٥٨ م) الذي تعلق بواحدة وامل وصالها والاقتران بها فلما عزّت عليه ويئس عن ان ينال مطلبه مرض غراماً ومات عشقاً كما تقول المصادر التي كتبت عنه[٢٦] ، لم نقرأ في سيرة الحبوبي او في تراجمه شيئاً من ذلك . ولكننا لو قرأنا شعره الغزلي ، وحاولنا ان نتسمع ما فيه من نبض او نتلمس من حرارة وعاطفة ، نجد ان الرجل لا يخلو من نفس غرام وعاطفة حب . وان شعره يفضح ما يحاول الرجل ان يخفيه عن نفسه ،

www.dorat-ghawas.com

فاذا ما خانه الوقار ، ورأى نفسه قد تورط بالبوح عما في داخله من اشراق ، وفضحته دقات قلبه ، ورأى نفسه مكشوفاً امام سامعيه في مجلس التهنئة المعقود ، يرتج عليه ، ويحاول التنصل من شِباك الغرام فيقول معتذراً :

لا تخل ويك ــ ومن يسمع يخل
اذني بالراح مشغوف الفؤاد
او بمهضوم الحشا ساهي المقل
اخجلت قامته السمر الصعاد
او بريمات خدور وكلل
يتفنن بقرب وبعاد
ان لي من شرفي برداً ضفا
هو من دون الهوى مرتهنى
غير اني رمت نهج الظرفا
عفة النفس وفسق الالسن

لكن (الصب تفضحه عيونه) ، كما يقال لندعه يكمل المقطع الثاني من الموشحة :

لست بالعيد مشوقاً مغرما
لا ولا استسقيتهنّ الاكؤسا
او تصيبنيّ الغواني بعدما
حاك لي مبيض فودي برنسا
فابغ من حزمك طرفاً ملجما
اذ غدت خيل التصابي شمسا
والهُ ، واسل ــ ويك ــ عمن سلفا
عهده حتى كأنْ لم يكن
ان يخنك الصبر فالانس وفى
يوم تزويج الفتى (عبد الغني)[٢٧]

أرأيت المداراة ومحاولات الافلات ؟ وللتوضيح . عدْ معي الى عباراته التالية : (او تصبنيّ الغواني بعدما حاك له الشيب برنساً) ابيض بتقدم العمر ، ثم الاستنجاد بالحزم والصبر وتجميع الهمّة (فابغ من حزمك طرفاً ملجماً) !

ثم لماذا أفعال الامر الشديدة هذا : (الهُ ، اسلُ) عما سلفا او عمن سلفا وانسه (حتى كان لم يكن) انها حياة الوقار الجديدة التي تعصف بها زوابع الذكريات .

لا اريد ان اكذّب الرجل فيما يقوله عن ادعاء الغرام وعفة النفس ، ولكن هل العفة تتعارض مع العاطفة ، وهل الوجد مخلّ بالشرف ؟ واذا كان الحبوبي يعبر عن (وضعه) حال قوله هذا الشعر ، بعد ان جاز به عهد الهوى انطوى زمن الشباب وجاء وقت الدرس والوقار ، فماذا عن ايام الصبا وعن السنين الثلاث التي قضاها في الحجاز[٢٨] يسرح في بوادي حائل ويمرح بين ربوع نجد ؟ الذي ظل يلهج به دهراً طويلاً بعد فراقه تلك الربوع في غزل كثير رقيق .

اختلف الباحثون في غزل الحبوبي ، وفيما اذا كان قد احب فافرغ طاقة حبه في شعره ، ام قال تقليداً ، مستندين الى ما نفاه في موشحته السابقة ؟ .

الدكتور البصير الذي كان اقرب ما يمكن الى الحبوبي ادباً وزمناً واقدم للموضوع بحثاً ، تردد في هذه المسالة . فمرة قال : اني لا استطيع ان اكذب الحبوبي في عدم الحب ، ويحكم بصدق التجربة الشعرية[٢٩] ، ولكنه عاد بعد ذلك في مكان آخر وقال في تحليل احدى موشحاته : اكاد اجزم بان هذه الموشحة ليست سوى مقدمة خلص منها الى سرد حادثة غرام حقيقية[٣٠] . وذهب الدكتور رضا القريشي الى ان الحبوبي كان مقلداً في غزله ، عفيفاً في موشحاته حاكى فيها شعراء الغزل العذري[٣١] . في حين حكم كل من الاستاذ ابراهيم الوائلي والدكتور يوسف عز الدين بصدق عواطف الحبوبي في غزله ، وقالا انها تعبر عن تجارب حقيقية[٣٢] .

لا ادري لماذا نخشى ان نقول عن الحبوبي يمكن انه احب يوماً ، او تعلق بواحدة ولو في مرحلة من عمره ، وهذه الشواهد الشعرية كلها تؤكد ذلك ، واكثر الباحثين يؤيدون ان تجربته في الغزل كانت حقيقية . وهل يستحيل ان تهفو نفس ، او يحب انسان ما ، او تلفت نظره الملاحة في الخدود ، والرشاقة في القدود او الرقة في العيون ؟ فتعشق اراوح رقيقة اودع الله فيها حبّ الجمال . « قيل لابي السائب المخزومي :

اترى احداً لا يشتهي النسيب ؟ فقال : اما من يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا »[٣٣] فلماذا نجرد هذا الشاعر المرهف الحس المتدفق الفكر والوجدان من الذوق والحس او ان يلتفت الى الجمال يوماً ، او تفتنه عيون ساحرة او ياسره قوام رشيق ؟ .

www.dorat-ghawas.com

ليست بي رغبة في تكذيب السيد الحبوبي من (عفة النفس) ، ولكني لا ارى تناقضاً بين عفة النفس ، وصدق التجربة ، وتعبيره في الكثير من اشعاره عن ذكريات حقيقية مرت به في شبابه ، ومواقف وجدٍ عاشها في الحجاز ظل يلهج بها طوال حياته الشعرية . ومن يتتبع شعره الغزلي يرانه من النادر ان تخلو قصيدة غزل لديه من ذكر الحجاز ونجد وايامهما ، واماكنهما ، وتكراره لهما في كل ما نظم . فما السبب الذي يدفع بالرجل الى ذكر ايام معلومة في حياته ، ويلهج بذكريات محددة زماناً ومكاناً ، الا يدل ذلك على وجود شيء يتحرك في داخله ، ويهيج عليه ذكرياته الجميلة كلما ضمه مجلس انس او حالة انطلاق ، او مناسبة سرور ، فيستغل تلك المناسبة وروح الانفتاح لدى الحاضرين بذكاء ، فينفس عن ذاته ويعلن عن ذكرياته ويخفف من ثقل اشواقه ، فيصرح مرة ، ويومىء اخرى ويرمز ثالثة ، ويهنىء بعدها ، ولكني لا اراه في داخله الا مشوقاً ، صاحب ذكريات حقيقية . صحيح ان الشاعر لم يكن مشغوفاً حقاً بالنساء حين قال موشحة التهنئة تلك بعد ان بعد عهد اللهو ، وبدأ عهد الدروس والبحث . ولكن ماذا عن ذكرياته في نجد عندما كان يافعاً ؟ ! ..

نحن لا نعرف الكثير ولا اخباراً ذات بال عن السنوات الثلاث التي قضاها الحبوبي في نجد مع ابيه واعمامه ، الا اننا نبقى نتساءل عن السبب الذي يدفع السيد الحبوبي الى ان يلهج بذكرياته ، ويعيدها كلما آنس فسحة من حرية او نشوة او انفتاح . فهو يحدثنا في الكثير من اشعاره احاديث تكاد تكون صريحة عن مغامرات غرامية وقعت له هناك ، مما لا يستطيع الباحث معها غير الحكم بصدقها .

ففي واحدة من موشحاته يحدثنا فيها حديثاً واضحاً جريئاً عن مغامرة غرامية جرت له في نجد مع مجموعة من فتيات البادية كن يجتمعن للسقي او الزراعة او الرعي ، فتعلق بواحدة منهن عُرف بحبها ، الا ان تلك المحبوبة صدت عنه وصارت تتمنع عليه وتأبى مواصلته ، وتتجنب لقاءه ، لانه شبب بها واذاع سرها . بعد ان اطمانت اليه ، فافتضح امرها ، فغضبت منه وآلت الا تحدثه بعد ولا تلقاه ، فراح يعتذر لها ، ولكنها لم تقبل منه ، وبقيت في عنادها وغضبها ومقاطعتها ، فرأى ان يوسط لها رفيقاتها ، فصرن يسترضينها ، وهي تمانع ، ويناشدنها وهي ترفض ، ولم يزلن كذلك معها حتى لانت ، فاخذن منها موعداً له في (ذي سلم) ، ثم وفّت الحبيبة بوعدها ، فوافته ليلاً بعد ان اسدل الليل ستوره ، وحجب العاشقين المتلهفين عن العيون والرقباء والوشاة ، فتمت بليلة وصال سعيدة هانئة ..

هذه القصة المحبوكة فناً الممتلئة عاطفة ، وامثالها تزكي على ذكريات حقيقية عاش الشاعر .

لنستمع الى جانب من هذه المغامرة الغرامية ، والقصة الغزلية المحبوكة ، والمحاورة الطريفة التي عاش الشاعر احداثها ونسج فيها على منوال الشاعر عمر بن ابي ربيعة ، ولنستشف العاطفة المتدفقة فيها والروح الغنائية . حين قال :

اتـــرى الشهب اضـــاءتْ مطلعـــا
ام تـــراها غـــرر الغيد السلاح ؟
تـــركت ليلي نهـــارا انصعـــا
وجلت رأد الضحى قبل الصباح
جبُن تيهـــاً لا يبـــالين الحـــرب
كـــل غيـــداء كمشبـــوب اللهب
قـــال رائيهـــا وقـــد فـــز الغلس
اعلى الابـــرق بـــرق لمعـــا
ام بـــدت سافـــرة ذات الوشـــاح
مـــا امـــاطت عن محيـــا بـــرقعا
في الدجى الا وخلتُ الصبح لاح

* * *

كظبـــاء الخيف لا تفتر الا
يتستـــرن بمســـورة المتـــاعي
جـــرحتني ، والجـــراحـــاتُ قتـــاني
غيـــر أن القـــوس اعيتْ مذ زمـــا
ونبـــالي ، بعـــدُ لم تنصـــل قـــاح
جحفـــل بـــالشعـــر لمـــا ابرعـــا
خـــانني الصبـــر فـــالقيت الســـلاح

* * *

لي فيهن غـــــــزال ربـــــــرب
ليس لي غيـــــر هـــــواه مـــــذهب

www.dorat-ghawas.com

لا ، ولا عن داره منقلب
فـانـا اتلـع مـا أن اتلعـا
واذا ابطـح اوطنت البطـاح
فلكم ازمعت لمـا ازمعـا
وارحت العيس لمـا ان اراح

• • •

يتبـالهن ، وقـد يعـرفنني
وهـو فيهن ، غضيض الا عين
قلتُ ، اذ يسـالن عني : انني
مَن اذا رمت التسـالي ورعـاً
نكصت بي للهـوى الغيد الملاح
واذا مـا الـروع هـزّ الا روعـا
فعفرني غابـة ، شاكي السلاح

• • •

قلن لي : علّـك يـا بـادي الشجن
ذلـك الصب (العـراقي) الـوطن
مـولـع القلب بتسـآل الـدمن
لست تنفـك تحيي الاربعـا
ولكم عجت ضحى في سفح ضاح
قلت : هـل تذكرت صبا مولعا
بذوات الاعين المرضى الصحاح؟

• • •

قلن يـا (اسمُ) امنحيـه الغـزلا
وصليـه ، فهـو من خيـر الملا
فـانثنتْ كبـراً ، وقـالت : لا ، ولا
كـان لي سر لديه مودعا
ضمن الكتمـان فيـه ، ثم بـاح
ولقـد شبّب بي حتى سعى
بي في سـر التصابي لا فتضاح

• • •

فتضـاحكن لهـا ، يخـدعنهـا
واذا مـا اعتسفت ارجعنهـا
قلتُ : اذ أعيت خصـامـاً : دعنهـا
فهي والغيـران كـانت شـرعـا
في تـدانيها وفي طـول انتـزاح
منعت من وصلهـا مـا منعـا
وابـاحت من هـواهـا مـا ابـاح

• • •

ثم قـد نـاشـدنهـا بالذمم
وتلطفن بطيب الكلم
قلن لي : المـوعـد في (ذي سلم)
فـانتظر حـارسهـا ان يهجعـا
ورعـاةَ الحي ان تـاتي المـرّاح
وهـزيـع الليـل ان ينهـزعـا
وتهيـج الروضَ انفـاسُ الـرياح

• • •

فـاتت تـرسـل وحفـاً ذا غُـدُر
مـاحيـاً مـا سحبتـه من اثـر
هي نجم ، بـل هـلال ، بـل قمـر
بـل هي الشمس اضاءت مطلعـا
وبـدتْ والليـلُ منشـور الجنـاح
ولقـد بتنـا نُـريب المضجعـا
بيننـا ستـر عفـاف ووشـاح

• • •

والـربى اخضلهـا دمـع الـرباب
ففـدت مخضـرة حمـر الهضـاب
حبـذا يـا حبـذا عصـر الشبـاب
كـان لي فيـه هنـاً فـانقطعـا
ببيـاض الشيب لا بيض الصفـاح
ضـاق بي ، من بعده ، مـا اتسعا
فلقـد كـان شفيعي للمـلاح[٢٤]

بودي ان الفت نظر القارىء الكريم الى المقطع الاخير ـ بشكل خاص ـ من الموشحة ، حين يطلق زفرة عالية لا سبيل الى اخفائها فينشج نشيجاً عالياً وهو يتحسر : (حبذا ، يا حبذا ، عصر الشباب ، و : كان لي فيه هنا فانقطعا ...) الا يدل هذا البوح

www.dorat-ghawas.com

المكتوم على اعتراف صريح وشعور صادق بذهاب الذكريات !! انن .

انحتاج الى دليل آخر ؟ انن لنقرأ معاً ومع من يقول بتقليدية غزل الحبوبي هذا الشعر الذي ينبض بالصدق ، ويزخر بالعاطفة ، ويئن تحت وطأة الذكريات :

ايهـــا العـــذال كفـــو عـــذلكم
بـالهـوى العـــذري عـذري اتضحـا
وامنحـوا يـا اهـل (نجـد) وصلكم
مستهـــامـــاً يتشكى البـــرحـــا
(واذكـــروني مثـــل ذكـــراي لكم
ربّ ذكـــرى قـــريتُ مَن نـــزحـــا)
الـوفـا يـــا عُـربُ يـا اهـل الـوفـا
لا تخـــونـــوا عهـــد مَن لم يخن
لا تقـــولـــوا صـــدّعنـــا وجفـــا
عنـــدكم روحي وعنـــدي بـــدني[٣٥]

او يقول محباً هائماً :

يـــا معيـــر الغصن تـــدّاً اهيفـــا
ومعيـــر الـــريم مـــرضى الحـــدق
هـل الى وصلـك من بعـــد الجفـا
بُلغـــــة تنعش بـــــاقي رمقي

• • •

همتُ في حبـــك (والحبُ هيـام)
فلي اللـــومُ ، ولا لـــومَ عليـــك
وتعـــاصيت على داعي الغـــرام
فـوقعت اليـوم طـوعـاً في يـــديـك
كلمـــا رمتُ اعـــاصيـك الـزمـام
جـــذبتني ســـورة الحب اليـــك
واذا جـــال فـــؤادي وقفـــا
حـــول مغنـــاك فلم ينطلق
وعلى نـــادي هـــواك اعتكفـــا
ففـــدا مـــامنـــه في فـــرق[٣٦]

وفي موشحة اخرى يكثر من ذكر اماكن نجد والحجاز وديار الاحبة حين يقول :

يـا مقيـل الســـرب في ظـل الاراك
بين (سلـــع) و (الكثيب الايمن)

• • •

زارني (بـــالسفـــح) من رمـــل الكثيب
فتعـــانقنـــا ، وقـــد غـــاب الـــرقيب
مثلمـــــــا التفّ قضيب بقضيب
كلمـــا قبلتـــه قـــال كفـــاك
قلتُ : من خـــديـــك ورداً اجتني

• • •

يـــا غـــزال السفـــح من وادي (زرود)
كن كمـــا شئت بـــوصـــل او صـــدود
سلفت من اهـــل (تيمـــاء) العهـــود
لست اشكـــو لـــزمـــان من نـــواك
ليـــــدٍ بُلّغتُهـــــا من زمني

• • •

حبـــذا تـــربـــك ، لا المســـك الفتيق
حبـــــذا واديـــــك لا (وادي العقيق)
كم حججنـــا لـــك من (فـــج عميق)
فـوق عيسٍ حل مسراها ســـواك
صبغت لاحبهـــا بـــالفـــرسن

لكن الذكريات تتدفق على لسانه من غير قدرة منه على حجبها وكتمانها حين يندمج في جو قصيدة التهنئة هذه ، فتفلت مذلقة على لسانه حين يواصل قوله في الموشحة نفسها ، ذاكراً مناسباتها ، واوصاف صاحبته فيها :

لي (غـــزال) فيـــك لم يـــأو الكنـــاس
يـــرتـــع القلب ولا يـــرتـــع آس
ريقـــه الصهبـــاء والمبسم كـــاس
قـــام بـــالحسن مليكـــاً ، ومـــلاك
نـــاعس العينين صلت المـــرسن

• • •

زارني وهنـــــا اذا الليـــــل سجى
بمحيـــــا قـــــد بـــــدا
فانبلجا
كلمـــا مُـــزّق جلبـــابُ الـــدجى

www.dorat-ghawas.com

ظل في اصداغه السود يحاك
ويوشيه بكحل الاعين[٣٧]

واخيراً ، لنستمع الى هذا المقطع من الشعر النفيس ، والنغم العذب ، والغزل العالي ، حين يبدو في المطلع كانه غزل في غلام ، لكنه سرعان ما يتكشف عن وجدان نقي ، ويحلق في آفاق فلسفة عالية ، ويدخل في اجواء من التصوف والعرفان ، ويتوجه بغزله الى ذات عليا ، ومقام رفيع ، بهذا الاسلوب النغمي المتساوق ، والصور الرائعة ، والمعاني الشفيفة ، والالفاظ الخفيفة ، التي تريح السمع ، وتمتع الوجدان ، حين يقول :

طرزْ خديكَ العذارانِ
تطريزةَ الورْد بريحانِ
خداك من وردٍ ، ومن نرجسٍ
عيناكَ ، والقامةُ من بانِ
سرُّ الهوى العشاق شقتها
فالخضرُ منها الاحمر القاني
ما نلتُ الا (يوسفاً) يارشا
او فقتهُ يا يوسفَ الثاني
الورد كالدمية ، اقراطه
قد علقت تعليق اوثان
يا من رأى في الارض بدر السما
اشرقَ في صورة انسان
جال فؤادي ان مشى مثلما
في خصره جال الوشاحان
وافى وقد شعّ صباح الدجى
فقلتُ : قد شعّ صباحان

* * *

يا لائمي ، اليومَ في حبه
مهلاً ، فما شانكما شاني
هاموا ، وهامي فيك لو انهم
قد عرفوا معناك عرفاني
لكن تجليت فاعشيتهم
بفرط انوارٍ ، ونيران
لولاك لم اهجر لذيذ الكرى
ولم اهُن هجر اوطاني
والله لا اسلوك يوماً ، ولا
املك لو حاولت سلواني
روحي في روحك ممزوجة
وربما تُمزَجُ روحان
حتى كاني ، منك ، في وحدة
لو صحَ أنْ يتحدَ اثنان[٣٨]

بعد هذا كله ، ماذا يمنع من ان نحكم بصدق الحبوبي في غزله ؟ ! ، لست ارى ما يدعوني الى الشك في ذلك ، بل بتجارب الشعراء العاطفية ، وهم يتحدثون عن انفسهم بصراحة ، ويفصحون عن تجاربهم بوضوح ، اننا نظلمهم ظلماً فاحشاً اذا قلنا انهم لم تكن لهم قلوب تعشق ، او افئدة تهوى ، او تجارب في الحب والغرام ، والشعراء هم ارق الناس قلباً . واشدهم عاطفة ، واكثرهم تاثراً بالحسن والجمال ..

وبهذا نقرر ان السيد الحبوبي ، ذاق طعم الحب في شبابه ، ودغدغت اعصابه اصابع الشوق ، وتعلق بامرأة معينة ، او عشقت نفسهُ المرهفة عدداً من الحسان ، لا على سبيل الحب والزواج ، او طريقة الحب العذري المتفاني ، لان الظروف التي تورط فيها بالحب لم تكن ظروف استقرار او مجالات لتحقيق الامال ، انما هي عواطف قلقة ، وعشق طاريء ، وهيام بالجمال من نفسٍ شاعرة رقيقة ، وحب محكوم عليه بالفراق ، لان الشاب الزائر ، والنزيل الضيف لابد له ان يرحل ، ويعود الى وطنه ، ويرجع الى بلدته ذات البيئة الجادة ، الملتزمة بالحشمة ، والمتشحة بالوقار ، فآثر السلامة والكرامة . ولجم عاطفته برباط العقل ، فاندمج في مجتمعه وقورا محتشماً ، ومعلماً حريصاً ، ومرجماً مرموقاً ، لكنه لم يستطع ان يفلت من دوامة ذكرياته التي ظلت تطارده وتتنفس في داخله ردحاً طويلاً من عمره .

رحم الله الحبوبي ، الشاعر والعالم والمجاهد والانسان .

الهوامش:

١ ــ الموضوع بالاساس بعنوان (الخمر والغزل في شعر الفقيه المجاهد محمد سعيد الحبوبي) ولكننا غيّرنا العنوان لغرض فني اجتماعي وابقينا المحتوى .

٢ ــ انظر ترجمته مفصلة وعلمه وجهاده في : نهضة العراق الادبية ١٤ ــ ١٩ ، وشعراء الغري ١٤٧/٩ ، ومقدمة ديوانه ــ طبعة وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٠ .

www.dorat-ghawas.com

٣ ــ خيري الهنداوي ــ الدكتور يوسف عز الدين ١٠٣ .

٤ ــ المرجع السابق ١٠٣ .

٥ ــ ديوان محمد سعيد الحبوبي ٢٧٦ طبعة وزارة الثقافة والاعلام ــ بغداد ١٩٨٠ .

٦ ــ الديوان ٢٠٧ .

٧ ــ انظر : العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية ــ لجعفر الخليلي . النجف ١٩٧٠ ، وبيئة النجف الشعرية ــ مقال محمد رضا الشبيبي ــ مجلة الاعتدال (النجفية ــ العدد /١ حزيران ١٩٣٤ .

٨ ــ انظر موضوع (ظاهرة الفكاهة والهزل في الشعر النجفي في القرن التاسع عشر) ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد / ١٠ لسنة ١٩٨٤ ص ٨٩ .

٩ ــ انظر تراجمهم في موسوعة المرحوم علي الخاقاني الموسومة (شعراء الغري) ١٢ جزءاً ، ونهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ، د . محمد مهدي البصير .

١٠ ــ شعراء الغري ٥٠٥/٥ ــ ٥٠٦ .

١١ ــ المصدر السابق ٥١١/٥ .

١٢ ــ انظر ترجمته في المصدر السابق ١١٣/١٢ .

١٣ ــ شعراء الغري ١١٤/١٢ .

١٤ ــ الموشحات العراقية . د . رضا القريشي ٢٣٥ .

١٥ ــ انظر منها مثلاً قصائدهم في : ديوان الحبوبي ٢٠٣ ، وشعراء الغري ٣٩٧/٧ قصيدة جواد الشبيبي التي مطلعها :

(هذه حمياك ام هذا محياكا ...) قالها في التهنئة بمناسبة مجيء من الحج ، و ٣٩٨/٢ قصيدته ايضاً : (افضض لنا من ريعك المختوم ...) قالها في تهنئة زواج احد ابناء العلماء .

١٦ ــ انظر مقدمة ديوانه ١٠٦ .

١٧ ــ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ١٤ .

١٨ ــ انظر جانباً من تلك الاداء في مقدمة ديوانه ص ٨٦ .

١٩ ــ نهضة العراق الادبية ١١٤ .

٢٠ ــ انظر ترجمته في المصدر السابق ١١٤ ــ ١٢٩ .

٢١ ــ الطراز الانفس . وهو ديوان عبد الغفار الاخرس ص : ٢١٠ . طبعة استانبول ١٣٠٤ هـ .

٢٢ ــ ديوان الحبوبي ٢٧٢ ــ ٢٧٣ .

٢٣ ــ المصدر نفسه ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

٢٤ ــ ديوان الحبوبي ٢٣١ .

٢٥ ــ المصدر نفسه ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

٢٦ ــ انظر ترجمته واخباره في : نهضة العراق الادبية ٢٠٢ ــ ٢٠٥ ، العراقيات احمد ورضا الزين ١٥١/١ ، الاعيان ، محسن الامين ٤٠/٣٧ طـ ١ .

٢٧ ــ ديوان الحبوبي ١٩٦ ــ ١٩٧ .

٢٨ ــ انظر عن ذلك مقدمة ديوانه ص ٢٥ ــ ٢٦ .

٢٩ ــ نهضة العراق الادبيز ٢٢ ــ ٢٤ .

٣٠ ــ الموشح في الاندلس وفي المشرق ٥٥ ــ ٥٦ دط ـ المعارف بغداد ١٩٤٨ .

٣١ ــ الموشحات العراقية ٢٠٦ .

٣٢ ــ انظر : مجلة الرسالة (المصرية) السنة ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ ص ١٧٥٢ ، و : الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ١٦٨ .

٣٣ ــ العمدة ، ابن رشيق القيرواني ١١٧/٢ طـ ٣ .

٣٤ ــ ديوان الحبوبي ٢٣٧ ــ ٢٤١ .

٣٥ ــ المصدر نفسه ١٩٥ .

٣٦ ــ المصدر نفسه ٢١٧ .

٣٧ ــ الديوان ١٤٥ ــ ١٤٩ .

٣٨ ــ الديوان ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

ثبت المصادر

ــ الاعيان ــ محسن الامين العاملي جـ ٣٧ طـ ١ دمشق .

ــ خيري الهنداوي ــ الدكتور يوسف عز الدين . مطبعة الشعب بغداد ١٩٧٤ .

ــ ديوان محمد سعيد الحبوبي ــ طبعة وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٠ .

ــ شعراء الغري ــ علي الخاقاني ــ المطبعة الحيدرية ــ النجف .

ــ الشعر العراقي ــ اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر . الدكتور يوسف عز الدين . القاهرة ١٩٦٥ .

ــ الطراز الانفس ــ وهو (ديوان عبد الغفار الاخرس) . طبعة استانبول ١٣٠٤ هـ .

ــ العراقيات ــ احمد ورضا الزين ــ مطبعة العرفان . صيدا ١٣٢٩ هـ .

ــ العمدة ــ ابن رشيق القيرواني ــ طبعة ٣ مطبعة السعادة ــ بمصر . تحقيق احمد محي الدين عبد الحميد .

ــ العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية . جعفر الخليلي . النجف ١٩٧٠ .

ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد ١٠ لسنة ١٩٨٤ . مقال (ظاهرة الفكاهة) .

ــ مجلة الاعتدال (النجفية) . العدد / ١ لسنة ١٩٣٤ . حزيران . مقال الشيخ محمد رضا الشبيبي .

ــ مجلة الرسالة (المصرية) . السنة ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ . مقال الاستاذ ابراهيم الوائلي .

ــ الموشح في الاندلس وفي المشرق . الدكتور محمد مهدي البصير . مطبعة المعارف ــ بغداد ١٩٤٨ .

ــ الموشحات العراقية منذ نشأتها حتى نهاية القرن التاسع عشر . الدكتور رضا القريشي ــ بغداد ١٩٨١ .

ــ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر . الدكتور محمد مهدي البصير . بغداد ١٩٤٦ .

www.dorat-ghawas.com